

فلسفه التصميم البيئي المعاصر في ضوء إبداعات المعماري الفنان انطونيو جاودي Philosophy of Contemporary Environmental Design in view of Antonio Gaudi Artifacts

أ.م.د/ ايمان محمد السيد البنا

استاذ مساعد بكلية الفنون التطبيقية - جامعه حلوان - قسم الخزرفه

أ.د/ محمد عزت سعد

أستاذ التصميم الصناعي بكلية الفنون التطبيقية - جامعه حلوان

الملخص:

تتعدد مفاهيم التصميم البيئي في عصرنا الحالي، ويثار الجدل حول تحديد ماهيته ومفرداته ، وتعتبر هذه الورقة البحثية أحد مراحل تقنين المفهوم الصحيح الواضح لمصطلح التصميم البيئي، من خلال توضيح احد أو بعض جوانب التصميم البيئي تبعاً لما يتم استقرائه من فلسفه احد اهم رواد التصميم البيئي.. "انطونيو جاودي".

"انطونيو جاودي" ظاهره جديره بالدراسه من قبل كل المهتمين بالتصميم البيئي ، فجاودي -الذي يصنف كفنان معماري - الا انني اجد انه ليس من المنطق او من العدل حصر هذا الانسان الظاهره في بوتقه واحده.. جاودي اثبت - وبقوه - تميزه كمعماري ونحات ومخطط عمراني ومصمم مشغولات معدنيه ومصمم أثاث وديكور داخلي وخزاف و مصور جداري .. لم يترك تفصيله صغيره او كبيره في منشآته للصدفه.. تدخل بفلسفته في ادق تفاصيل ومفردات تصميماته البيئيه . فهو ظاهره اثرت وما زالت تؤثر في التصميم البيئي لقرنين من الزمان، ومن هنا كان لزاما علينا كمصممين للبيئه دراسه واستكشاف فلسفه هذا المصمم "الظاهره".. لفهم جوانب التميز التي جاءت به في تلك المكانه المتميزه كأحد أهم رواد التصميم البيئي . ..وكل الذي أدى باعماله الي تلك الاستمراريه ؟ بل والمنافسه مع اهم و احداث المنشآت والمباني الحديثه ببرشولونه والعالم اجمع.

الظاهره موضوع البحث

انطونيو جاودي ..ظاهره متفرده كاحد رواد التصميم البيئي في العالم.

هدف البحث

تقنين مفهوم التصميم البيئي في ضوء فلسفه احد اهم رواد التصميم البيئي.. "انطونيو جاودي".

ادعاء البحث

كشف الجوانب الفلسفيه وراء أعمال المصمم انطونيو جاودي في مجال التصميم البيئي تودي الي تاكيد وتوضيح مفهوم التصميم البيئي.

منهجيه البحث

يتبع البحث المنهج الاستقرائي

Abstract:

Recently we can find several environmental design concepts, which raises controversy about identifying its meanings, principles and elements. This research can be considered as a contribution to identify and clear the right concept of the term "environmental design", depending on what is induced from the philosophy of one of the most important pioneers of Architectural design "Antonio Gaudi".

"Antonio Gaudi" is a unique phenomenon worth exploring by design researchers, Gaudi who classified as an architect - but I find that it is not logical or fair to limit this "phenomenon man" in one melting pot - architecture!! . Gaudí proved that he was a true environmental Artist as well as being architect, sculptor, urban planner, applied artist , product and interior designer, landscape coordinator, Pottery artist and Muralist. He intervened with his philosophy in every single detail of his artifacts.

Findings:

For last two centuries, Gaudi had a great affect on the environmental fields of Art and Design, and here it was necessary for us as environmental designers to study and explore the philosophy of this "phenomenon designer", through this paper, We put spot lights on the aspects of excellence that brought him in that special place as one of the most important pioneers of environmental design. His inspirations and thoughts brought him to be Master and great reference of environmental fields of Art & Design.

The phenomenon of research: Antonio Gaudi an unique phenomenon, he is one of the pioneers of environmental design in the world, before the appearance of this term.

Research aim: Clarify the confusions concerning of the concept of "environmental design" through "Antonio Gaoudi's philosophy.

Search claim: The philosophical aspects behind Antonio Gaoudi's work in the field of Architectural design are intended to emphasize and clarify the concept of environmental design.

Key Words:

Environmental Design – Environmental art - space design – nature inspiration

مقدمه Introduction:

يبين ممارسة التصميم البيئي والفكر الفلسفي الذي وراءه يدور هذا البحث، حيث تتنوع المصادر في سرد ماهية الممارسات المرتبطة بتصميم البيئات واعاده تنسيقها او حتي تجميلها .. لم ينل التطرق الي تحليل المفاهيم والفلسفات الاساسيه الموجهة لتلك الممارسات في مجال التصميم البيئي نفس النصيب من الاهتمام البحثي، لذا يحتاج الأمر الى توجه الأنشطة البحثية الي هذا النوع من المفاهيم والفلسفات المرتبطة والمتحكمه في التصميم البيئي في ضوء معطيات الألفية الثالثة.

الظاهرة موضوع البحث Phenomenon of the research:

رغم ما قدمته الابداعات البشرية من علوم وممارسات للتصميم البيئي حتى الآن مازال ماقدمه المعماري الفنان انطونيو جاودي في النصف الاول من القرن العشرين (الالفية الثانيه) من خلال اعماله التي تذخر بزخم كبير يغوص في أعماق فلسفة التصميم البيئي ليتخطى بها حاجز الواقع في الطبيعة الى آفاق الميتافيزيقا فيما وراء ذلك النوع من الابداع البشري الذي يتقاطع بشكل مباشر مع مهمة الأنسان في الأرض والتي خلقه الله من أجلها ألاوهي عمارة الأرض.

إشكالية البحث Problem of the research:

تتمثل إشكالية البحث في حل التعارض Contradiction بين الواقع المأزوم الذي تعيشه ممارسات التصميم البيئي الفقيرة الى فلسفة واضحة محددة الملامح وبين المستقبل المأمول في وجود افكار وفلسفات تقود ممارسات التصميم البيئي الي فتح افاق ارحب من خلال كشف أسرار وفك شفرة ابداعات رواد هذا النوع من المصممين علي مر التاريخ و الثقافات الذين تطرقوا الي هذا النوع من الممارسات الفذه وعلي رأسهم المبدع الاسباني جاودي التي قدمها في النصف الاول من القرن العشرين.

إدعاء البحث Assumption of the research:

يدعى البحث أن ما قدمه جودى فى النصف الاول من القرن العشرين هو من أهم المداخل لرفع للتعارض بين الواقع المأزوم والمستقبل المأمول فى مجال ممارسات التصميم البيئى.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي

كلمات مرشدة **Keywords:**

حدس - ميتافيزيقا - تصور concept - حب الطبيعة (بيوفيليا)

حدس Intuition

هناك فرق بين العقلاتى Rational والحدثى Intuitive، العقلانى منهجى methodical ومنطقى logical ومنضبط controlled وإرادى conscious وكذا علمى scientific. بينما الحدسى intuition مبنى على المهارة skill-based وتمحور حول الذات internalized وغير مباشر، ضمنى indirect, implicit ولاإرادى subconscious ونمطى النزعة pattern oriented وكذا متعدد الأوجه multi-faceted. الحدس/ الحاسة السادسة/ الهبة instinct والاستبصار insight؟ عملية لا شعورية / لا إرادية. كما انها طريقه لا يمكن تفسيرها خطوة بخطوة باستخدام المنطق. أو كما يقال فإنها على عكس التفكير التحليلي analytical والعقلاني rational.

الحدس قابلية ذهنية طبيعية يمتلكها الجميع ولكن البعض يمتلكها جبلياً بقدر أكبر من البعض الآخر. وكما هو حال أية قابلية أو مهارة، فإن قابلية الحدس يمكن شحذها وتنميتها وجعلها أكثر اعتمادية بواسطة التدريب والممارسة. مشيرة إلى أن البحوث أظهرت أن الحدس يتواجد في جانب المخ الأيمن أكثر من الجانب الأيسر، وأن حصة اللاإرادة فيه أكثر من حصة الأرادة، فضلاً عن ارتباطه بحالات فسيولوجية تتسم بموجات كهربية دماغية ذات تردد منخفض (تردد ألفا)، وهو تردد يترافق طبيعياً مع حالة الاسترخاء.

الميتافيزيقيا Metaphysics

الميتافيزيقيا هي دراسة طبيعة الواقع. وهذه هي العملية التي من خلالها نصل إلى فهم كيفية عمل الأشياء، ومن هذا الفهم اتخاذ قرارات حول ما نريد أن نفكر ونشعر والقيام به لتحقيق أقصى استفادة من خبرتنا في الحياة والعالم.

بيوفيليا Biophilia

تعرف لبيوفيليا Biophilia على أنها الميل البشرى الفطرى فى الأنتساب الى الطبيعة، ويتمثل المغزى الأساسى الإلزامى لبيوفيليا فى أنه لا يمكننا أن نزهدهم كأفراد أو كجنس بشرى من دون علاقة إنسانية الهدف منها مراعاة للعالم المحيط بنا والذي نكون جزء منه. (W. Black et al., 2015)

أولاً: لماذا جودى؟

عند البحث فى ماهية المفاهيم والفلسفات المؤثرة على عمل التصميم البيئى نجد الكثير من المهتمين بايجاد حلول شامله لكافة مفردات الحيز المكانى، لابداع منظومه بيئيه ايكولوجيه متناسقه مع المكونات الاخرى للحيز المكانى من منشآت

معماريه وطرق و بنيه تحتيه وغيرها ، وفي هذا الاطار كان لبعض منهم إسهامات جيدة وإن كانت لا ترقى الى أن تشكل أفكارا وفلسفات متكاملة تقدم حولا متكاملة للإشكاليات المرتبطة بمجال التصميم البيئي.

لذا كان الاهتمام الأكبر بالمعماري الفنان انطونيو جاودي حيث خلق مدرسه متفرده في هذا المجال غاية في الجراه والتمرد علي الواقع المعماري بقوانينه الصارمه - آنذاك - حيث كان كله ثقه في افكاره ولديه القدره علي اقتناع المستثمرين بإبداعاته بالرغم من كونها اقرب الي السيرباليه الميترفيزيقيه غاية في التفرد والذاتيه، وكانها عمل فني حر لا يخضع لكل تلك القيود التي فرضتها مفاهيم وقواعد الهندسه المعماريه علي المعماري وقتها.

لذا كان الاهتمام بالبحث فيما وراء تلك الاعمال الابداعيه من "شخصيته الذاتيه" كيف تكونت؟ وبما تأثرت؟ وما مصادر معرفتها وعلومها؟، وفي هذا الاطار وجدت بعض المقالات المنشورة والكتب التي تتطرق لتلك لموضوعات المرتبطه بحياه وفلسفه انطونيو جاودي الشخصيه، لكن أهم تلك المصادر علي الاطلاق كان فيلمان¹ يوثقان تلك الفلسفه بصوره واقعيه وسرد درامي موفق، كانا مصدرالإلهام للكثير من الأفكاراثناء كتابة هذه الورقه البحثيه؛ بالاضافه الي دراسه ميدانيه لايداعات جاودي في برشلونه.



شكل (١)

ثانيا: انطونيو جاودي (النشأه - الاراء - الافكار)

ولد انطونيو جاودي وعاش في اسبانيا 1852 - 1926 ، كان طالبا محيرا لأساتذته، لم يعرفوا ان كان طالبا فذا ام هو الجنون بعينه!! كان يؤكد ان سبب شهرته واهتمام الناس بإبداعاته ثلاثه اشياء اساسيه هي الموهبه والاهتمام بالجوانب المجتمعيه في اعماله social concerns الى جانب الهويه القوميه national origin .



شكل (٢) انطونيو جاودي

تأثر كثيرا بمقوله الناقد المعماري "جين راسكن رود"² : الزخرفه هي أصل العماره Architectural Ornament is the origin of a .. حتى أن تلك الفكره قد شكلت جزء أصيلا في معتقداته التي أثرت علي فلسفته.

اتبع تعليمات مدرسه الأعظم " فيوليت لي دوك"³ 1879 - Viollet_Le_Duc 1814 - الذي لم يعتقد أبدا في وجود طراز نقى Pure style، فكل الطرز متعلقه ببعضها بشكل من الأشكال، وعليه فقد درس جاودي بعمق أعمال الماضي

¹ <https://www.youtube.com/watch?v=1Lt7PF3Z5Og>

<https://www.youtube.com/watch?v=GaN1WB6exAE>

"جين راسكن رود 1819-1900 ناقد فن انجليزي رائد في العصر الفيكتوري كان رسام ومفكر اجتماعي بارز في عصره له كتابات عده في مجالات الهندسه المعماريه، الاسطوره، الادب والتعليم.

فيوليت لي دوك 1814-1879 معماري فرنسي وكاتب مشهور بشرحه وتحليله لفلسفه المباني التي تعود للعصور الوسطي، كانت معظم اعماله ترميم واعاده اصلاح لمبان اثرية او استعماليه قديمه ولم يتحقق من تصميماته سوي القليل.³

العظيمه من أجل اثناء الحاضر بمعرفه حديثه New knowlege. وقال: "لكي نقيم أعمالا ذات قيمة حقيقيه.. يجب ان نعتبر الماضي بعظمته هو الأساس.. لكن.. مع تجنب أخطاء ذلك الماضي...."

وتكلم أيضا عن قدرته علي تصور الاشكال في المساحات قبل تنفيذها قائلا: "لدي احساس قوي وفهم عميق للمساحات والاسطح إنتني من الاختلاط بالبحاره حيث تربيته في ميناء، فكان البحاره يأتون للتجاره يدرسون ويتصورون ويصممون مكان وضع حاجياتهم بشكل منظم يلائم عمليه البيع والشراء قبل البدء فيها، من هنا تكونت لدي القدره والموهبه علي تصور الاشياء في الفضاء قبل وضعها علي الحيز الارضي".



شكل (٣) سير جويل

وعن الدعم المتواصل لافكاره وابداعاته قال: "التركيبه الخاصه لأعماله واسلوبه الغير تقليدي في التنفيذ هي أسباب التفات المستثمرين والممولين الحقيقيين لتصبح أحلامي حقيقه..."

حيث كان وجود المستثمر ذو المقدره الماديه الداعمه والملتزم تجاه متطلبات المجتمع وهمومه، هي التركيبه الاساسيه اللازمه لانتاج أعمال فنيه ومعماريه مبدعه وغير تقليديه". وهذا ما وجده جاودي

في السير جويل⁴ LGUEL وكان يعتقد ان اعماله العظيمه قد رأت النور لأن السير "جويل" قد آمن بها ودعمها بكرمه العظيم.

كثيرا ما تم اسناد عمليات اعاده تجديد واحياء لمبان اثريه أو سكنيه قديمه للمعماري الفنان انطونيو جاودي، وكان يستعين في تنفيذ تلك العمليات بزملائه المعماريين ذوو الخلفيه الفنيه القويه، حيث المحافظه علي روح المبني وتأكيده مع اضافته اللمسات المعاصره دون الاخلال بالشكل والطرز العام، وكان يقول: "الزخرفه بالنسبه للعماره تماما كالايقاع والقافيه بالنسبه للشعر". وقال أيضا: "اعتمدت علي المعماريين الذين كانوا بالاصل فنانيين، ومعا حاولنا المزج بين ايقاعات والوان الداخل مع الخارج"، وكان من رايه أن "المصور" يؤكد الفكره بالرسم و"النحات" يوضحها بالشكل ثلاثي الابعاد، بينما المعماري كان عليه خلق الكيان نفسه...

من ناحية أخرى كان يؤكد ان أهم المؤثرات علي اعماله هي (الهويه والقوميه - التمرد علي المفروض واعتماد الحدس الفني - الطبيعه - الضوء - الاخلاص والعمل الدؤوب).



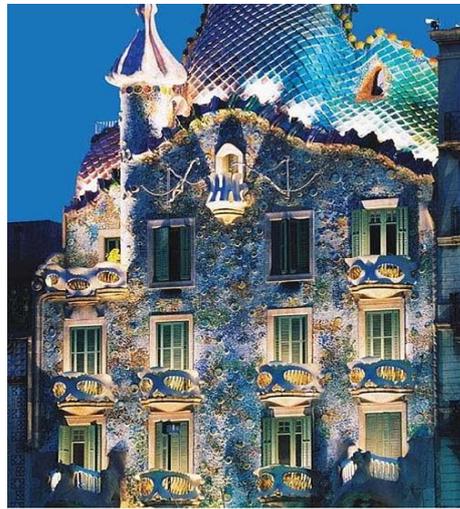
شكل (٤) بيبلا فيستا

فيما يتعلق بالهويه والقوميه كان لديه إحساس قوي وعميق بكونه كتالوني الأصل فارتبطت كافه أفكاره بموطنه الأصلي، وبأهل هذا الوطن بشكل عاطفي، أكده جاودي شخصيا في كتاباته ولقاءاته طيله حياته فيما بعد. وفي هذا المجال قال: "في بدايات أعماله كان لزاما علي الاختيار بين الأحجار والطوب لتنفيذ أبنيتي.. وهنا كان العوده لموطني..كتالونيا.. حيث السيراميك الملون والحديد المشكل.. فوجدتني اضيفهما بلا تردد في أول أعماله.. ولم انساق لما هو سائد من تقاليد معماريه، وكانت "بيبلا فيستا" هي احد اهم المباني التي تؤكد اهتمامي الكبير بتاكيده الاصل الكتالوني الذي اعتز به، ففي محاوله لاعاده احياء ذلك المبني بين عام 1909 - 1900 و الذي تم بنائه منذ وقت طويل بتفاصيل وملاحم قوطيه متعدده قادتني لتاكيدها واعاده احياؤها،

السير جويل ١٨٤٦-١٩١٨ رجل اعمال اسباني استفاد كثيرا من الثوره الصناعيه في كتالونيا كان من اهم الداعمين والمؤيدين لافكار جاودي المعماريه.⁴

فقت بالمحافظة علي بقايا البناء القديم من العصور الوسطي وربطها ببقية المباني بحديقته مشتركة تمارس فيها انشطته مجتمعيه."

اما ما يتعلق بالتمرد على المفروض واعتماد الحدس الفني قال جاودي: "إن الفنان يتحول بلوحاته الي البيئه المفتوحة كاملة ليحول جدران العمارة وأسقفها وأسطحها الي قاعات عرض لافكار واحلام سرياليه ميتافيزيقيه ومبهجه."



شكل (٥) مجموعه من تصميمات ج(لاودي المتنوعه الممتلنه بالسيرياليه والاحلام متنوعه الاحاسيس

مجموعه من اعمال المعماري جاودي بمدينة برشلونه اسبانيا توضح اهميه الجانب الفني والتجاه السيريالي في التفكير والتصميم لدي جاودي مع الجراه علي التنفيذ والاستمراريه والبقاء ليومنا هذا، من كتاب ريتشارد ريجاس

Ricard Regas: Visual Guide to the Complete Work of Antoni Gaudí 1999

وكما يتضح من الاعمال المتضمنه في شكل (٥) ان المنطق الوحيد المتحكم في اعمال جاودي هو ترجمه احلامه الخاصه علي ارض الواقع وطرحها في صور ومفردات بيئيه وجماليه تتداخل مع النسيج اليومي لحياه الافراد، فكانت اعماله هي محصله لعدده مفاهيم واساليب في التصميم: "التصميم للمجتمع Social Design" "التصميم المستدام sustainable design" و"العماره البيئيه environmental architecture" مع "التصميم الايكولوجي Eco Design" و"فن الشارع street art" وغيرها كلها تحت اطار ومظله التصميم البيئي، بحس فني نادر. وكان متمكنا من الدمج بجراه نادره بين الطرز والزخارف المختلفه: الباروك مع الفن الاسلامي وازفاده رموز الاساطير ومزجها كافه باسلوب الفن الحديث كما بالشكل (٦) (٧)



(شكل ٧)

مبني بيلبا فيستا من زاويه توضح المزج بين الطرز المتنوعه بطلاقه وجراه نادره



(شكل ٦)

بوابه المنزل الخاص للسير جويل تحمل الحرف الاول من اسمه باسلوب الأرت نوفو وتداخله مع الطراز القديم للمبني الاساسي مع الحس السريالي الخاص بجاودي

وقد كان دائما ما يؤكد علي اهميه الحدس والجانب الفني لدى المعماري و يفرق بينه وبين المهندس ففي حوار عن كنيسه العائله المقدسه Sagrada Famili (شكل ٨) قال: "علي المعماري ان لا يعتمد علي الهندسه Geometry اعتمادا كليا في افكاره، فهي قد تساعد علي ايجاد الشكل الصحيح الملائم لكل استخدام، ثم يأتي دور الفنان فيبدع لها طابعا خاصا متجددا.. وبينما المهندس يستخدم شكل واحد لكل شيء، فالمعماري يتفوق في اعطاء الروح المختلفه لكل بناء، مثال علي ذلك الكنائس في المسيحيه وهي البناء المخصص لله بكماله فهذا البناء يجب ان يشارك الله في هذا الكمال ويصبح شيئا مطلق الجمال والكمال، وهذا ليس موجود بكنائس هامه مثل كنيسه القديس بطرس او كنيسه السيستين في روما، فهما ليسا اكثر من عمليين يتجلي فيهما الابداع الزخرفي والديكور فقط بينما دور المعماري لم يكن بتلك الاهميه."



(شكل ٨) كنيسه العائله المقدسه بما تحمله من محاوله معماريه جاده وصادقه من جاودي للوصول الي الكمال الذي يتصف به الله تعالى، مبتعدا عن الاكتفاء بالزخارف والتزيين المعتاد في اغلب الكنائس الهامه

وكان يعظم من دور الحدس و الاحساس واهميته لدي المعماري اكثر من سيطره العقل والمنطق والتي تؤدي كثيرا الي التكرار و احيانا الخطا. المعماري هو شخص لديه القدره علي تخيل الاشياء ورسمها قبل وجودها، وترتيبها في كيانات ثلاثيه الابعاد.. لكن "باحساس قوي" كان يؤكد ان الاحساس هو الحياه *feeling is life* و دائما ما تكون "الراس" هي سبب الخطأ (يعني العقل والمنطق) .

كما كان يعتقد ان التمسك الشديد بالقوانين العلميه هو شيء عديم الفائدة في فن العمارة، العلم هو التحليل، والتحليل هو الموت للابداع الفني، وشبه العلم بكتله هائله من المعدن غير قابله للحركه والفن هو الشيء الوحيد القادر علي تحريكها وجعلها متاحه للجميع.

وكان يؤمن باعتبار الغوايه الناتجه من جمال الفكره والرغبه في الوصول بها الي حيز الواقع هي اهم واقوي محركات الطاقه الفنيه والابداعيه لدي الفنان والتي اذا تم فقدها - طاقه الاغواء - فقد العمل براعته وصدقته القادر علي الاستمرار قرونا من الزمان بنفس التوهج والاقناع.

كما كان يؤمن بان الطبيعه هي مصدر الالهام الاول والاهم للمعماري الفنان فكان يحرص علي تنوع الالوان و تراها - علي حسب قوله - لاشيئ في الطبيعه احادي اللون (نبات او حيوان او حجر..) وعن مدي تقديره للطبيعه ودورها كاهم مصادر الالهام علي الاطلاق تكلم قائلا:

- "خلال حياتي كلها.. كان حلمي المجرد هو ايجاد اشكالا جديده للبيئات المعماريه ..حيث تختفي الزوايا .. وتندمج الخامات المختلفه وتتكامل لملء المنحنيات..حيث تغمر أشعه الشمس الجوانب الاربعه للمكان .. في محاوله لخلق صورته.. للجنه.."
- " استلهم أفكارني من الأشجار القائمه بفروعها واغصانها وأوراقها..وأفكر في كل جزء منها بشكل منفصل وادرس قوانين ارتباطها ببعضها البعض.. علاقه الجزء بالكل والتي ابتدعها الخالق.. الفنان الأعظم..." قالها جاودي عندما سؤل عن السر في تنوع اعماله في بداياته.
- "لم يقم الانسان باختراع اي شيء علي الاطلاق!! وضع الله كل شيء امام اعيننا .. هو المخترع الاوحد.. والطبيعه تحمل كفه الاختراعات السابقه واللاحقه"
- كل عمود في ابنيتي له طابعه الخاص تماما كالأشجار في الطبيعه لكل شجره ملامحها الخاصه التي تميزها عن الاخرى.
- حب الطبيعه واحترامها كان من اهم دوافعي في العمل المعماري في احد المرات اضطرتت للالتفاف بسلم كاملا حول شجره صنوبر رفضت قطعها تحت اي ظرف من الظروف وظللت متمسكا بوجودها، فالسلم بيني في وقت قصير جدا مقارنة بشجره عظيمه تحتاج الي عشرات السنين لتنمو.

كان لجاودي اهتماما قويا بايجاد حلول معماريه بيئيه تساعد المباني علي التنفس فيقول: " دائما ما اعتبر السطح العلوي للمبني اهم جزء بالنسبه لي، حيث السماء فقط .. كل تلك الاشكال الزخرفيه والكيانات النحتيه التي اضعتها فوق اسطح بناياتي (شكل ٩) ليست مجرد زخارف تجميلية فقط بل ان لكل منها دور وظيفي حيوي ، فيها فتحات للتخلص من الدخان والهواء غير المرغوب فيه لمساعدته المبني علي التنفس."



(شكل ٩) بعض فتحات التهوية العلوية والمداخن علي اسطح مبان جاودي حيث الاصرار علي تحيل البنينات المحيطة الي لوحات فنيه دون الاخلال بالجوانب الوظيفيه



شكل (١٠)

تطويع الافكار المستلهمة من الطبيعه لتصبح كيانات معماريه قائمه من أعمال المعماري جاودي حيث سلم داخلي في مبني لابراديرا وسقف كنيسة العائله المقدسه ببرشلونة

والاشكال ٨-٩-١٠ من كتاب ماريا كريبييا والذي تم اصداره عام ٢٠١٥

Gaudi 2015 :by Maria Antonietta Crippa and Peter Gössel

الطبيعه كانت اقوي مصادر الالهام بالنسبه لجاودي كما يتضح بقوه في كافة اعماله (شكل ١٠)

، الشكل الحلزوني المستلهم من قوقعه ، تناسق وتناغم سيقان النباتات، اتزان جذوع الاشجار، ، غيرها كثيرا من الظواهر الطبيعيه استخدمها لابداع تأثيرات مبدعه ومبتكره علي كافة اعماله. لغرض جمالي وظيفي او كما قال (للمتعه).



كما ان الكثير من ابداعاته (شكل ١١) تم استلهامها من زيارته المتعدده لكهوف "مايوركا وكالباتو" وجبال "برادس"، وكان يقول: "لايوجد اي هيكل افضل من جذع شجره بما يحمله من اغصان وفروع او هيكل عظمي يحمل جسم الانسان، هذه التشكيلات تحمل خواص جماليه ووظيفيه غايه في التوازن والراقي، لقد اكتشف جاودي كيفيه تطويع لغه الطبيعه الي كيانات وهيكل معماريه.

شكل ١١ احد مناطق التجول المستوحاه من الكهوف - في حديقته جويل ببرشلونة تصميم جاودي

- الضوء.. كان لعامل الضوء أثرا هاما علي كافة اعمال جاودي و كان يؤكد ان العمارة هي تأكيد لعظمه الضوء " Architecture is exellency of light " و كان يعتقد ان للبحر الابيض المتوسط دور كبير في الابداع المعماري من حوله، ففي دول حوض البحر الابيض المتوسط حيث حضارات - اليونانيين والايطالين وكذلك المصريين والاسبان - ينكسر الضوء علي سواحله بزوايه ٤٥ ، فيعطي الطبيعه من حوله سحرا خاصا بينما كان يشفق علي الدول الشماليه التي يصلها الضوء بشكل افقي حزين او الدول المداريه التي يصلها ضوء عمودي وشديد .

- الاخلاص والعمل الدؤوب .. كان جاودي شديد الاتقان والاخلاص لما يعمل فقد كان يعمل ما يحب.. ويحب ما يعمل! كان يقول: "لا أعتبر عملي جيدا او منتهيا الا عندما اجدني قد عجزت عن تصور اي اضافه جديده لكماله"، "كلنا نخطيء.. ومن يخطئ أقل هو من يعيد نفسه بشكل منتظم".

- الايمان الكامل باهميه العمل الجماعي فكانت اغلب عماله هي نتاج تعاون مثمر بينه وبين فناني الموزاييك او النحاتين والرسامين.

الخلاصة Findings:

التصميم البيئي هو حاله خاصه جدا من حالات التصميم حيث الطبيعه الديناميكيه للبيئه والتي تفرض طبيعتها علي كل ما يتعلق بهذا المفهوم سواء كان طبيعته، مراحل،طرقه واساليبه، اساسياته، وطبيعه المصمم البيئي ذاتها والتي عبر عنها انطونيو جاودي بثتي الطرق، حيث يحمل نفس الطبيعه الديناميكيه للبيئه ، وظهر هذا في كتاباته وفلسفته قبل ان يتضح ويقوه في كافة اعماله والتي تحمل نفس صفات البيئه من التغيير والتنامي واللامفروض واللاحتميه، واحيانا كثيره اللاواقعي.

ويمكن أن نرى ذلك بوضوح إذا ألقينا نظرة فلسفية شمولية علي بعض اعمال انطونيو جاودي بعد تعرضنا لمقتبسات من إبداعه الي تعتبر داعمة لمفاهيم وفلسفة التصميم البيئي المعاصر

اولا : الجمال هو انعكاس الحقيقه

١- حديقة جويل: اقتبست الفكرة الاساسه لحديقته جويل (Park Guell) من المتنزهات الكبيره في انجلترا والتي لفتت انتباه "سير جويل" اثناء زيارته المتكرره، كانت الارض المقامه عليها الحديقته فوق جبل (مونتانا بيلادا) خصصتها الدوله للبيع كقطع اراضي فوق الجبل تحيطها الشمس من كل جانب مع أفضل زوايا رؤيه للمدينه ككل ويتم احاطتها بأسوار فتصبح منطقه سكنيه منفصله بسور عن المدينه (كومباوند)، لكن لم يتم استكمال المشروع علي هذا النحو⁵ ، ولم يبق من الفكره الاساسيه سوي المتنزهات والاماكن العامه المخصصه للتجمعات والنزهات والتي بدأت بدورها بأعطاء المكان شكل الحديقته. كانت رؤيه جاودي الخاصه بتداخل العمارة مع اللاندسكيب (ليصبحا كيانا واحدا) هي الخلفيه الاساسيه اثناء تصميم الكيان الاساسي او التجميلي للحديقته. وعن افكار الحديقته قال جاودي : " ان الالوان و الخامات استخدمتها لاضفاء التأثيرات السحريه ، ولقد رفضت تماما فكره تحويل المرتفات الي مصاطب لانني اردت ان اتركها ممرات ومنحدرات متصاعده محاطه باجواء طبيعيه مثل الكهوف والاعمده الحجرية المائله (شكل ١١) ، لسبب واحد هو ان العمارة واللاندسكيب الطبيعي يصبحان كيان واحد بدون اي اضافات واضحه الاحتميه او تزينييه ملحه "

⁵نظرا لعدم اقبال المواطنين علي شراء الأراضي الا قطعتين فقط تم شراؤهما وبنائهما كانت احدهما لجاودي اقام فيه مع والده لاعوام كثيره حتي انتقل للاقامه باستوديو ملحق بالكنيسه المقدسه اثناء العمل بها

"كانت كافة الخامات المستخدمة في اعمال وهياكل بارك جويل زهيدة التكلفة، كلها خامات تنتمي الي البيئه ذاتها المشيده فوقها ، فأخذنا الاحجار من الجبل وبنينا بها، كما تم صناعه بلاطات السيراميك والموزاييك من نفس الخامات التي وجدناها هناك".

الجمال هو انعكاس الحقيقه، اذا وجد الجمال بلا حقيقه فقد مصداقيته وجماله، لذا كان البحث عن الحقيقه الطبيعيه والفعليه للبيئه المقام عليها الحقيقه هو مصدر الجمال الناتج عن العمل .

"العمل هو نتيجته فعليه للتعاون والعمل الجماعي، كانت الفنان (جوزيف ماريا⁶) من اهم عناصر فريق العمل الذي تمكن من انجاز كافة اعمال الموزاييك في بارك جويل ، وكان اصدقائي النحاتين والرسميين من ضمن فريق العمل ايضا الذي كان لا يجمعه الا الحب والرغبه في تنفيذ الحلم الذي اجتمعنا عليه، كانت هناك رغبه عارمه نتجت من غوايتنا وافتتاننا بالمكان والحلم والرغبه في اتقان التنفيذ " شكل ١٢ .



(شكل ١٢)

منزل انطونيو جاودي في بارك جويل وتفصيل من الشباك المنفذ بالموزاييك وكذلك العمل النحتي فوق النافوره و المقاعد المشهوره بالحقيقه مع تفصيله خاصه بها نفذت نتيجته للتعاون المثمر بين جاودي وجوزيف دي ماريا

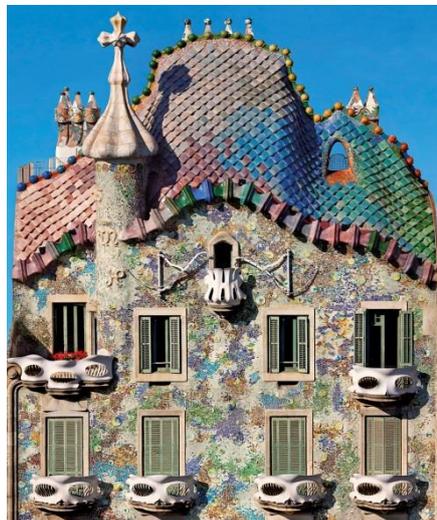
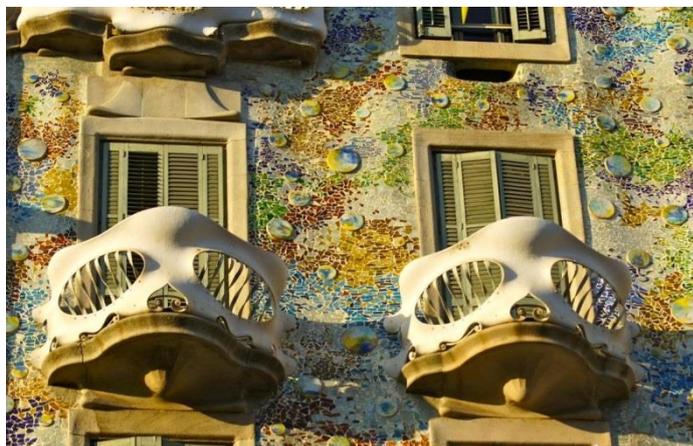


ثانيا : اضاءه الثراء والبهجه

- مبنى كاساباتيللو: تم اسناد عمليه تجديد الواجهه والشكل الخارجي لمبني (كاساباتيللو) لانطونيو جاودي من قبل مالكة رجل الاعمال الذي احس بملل ورتابه شكل المبني القديم وكان يرغب في تعديل وتجديد كامل يضيف ثراء وبهجه علي شكل المبني، يقول جاودي عن هذا المبني الحلم: "قد اتصل صاحب البناء بي لتحقيق حلمه والاهتمام به، فقامت باضافه افكاره الغريبه الي كافة اسطح المبني، الواجهه اعتمدت علي اعمده واضحه مستوحاه من اقدام الفيل، بينما الخط الخارجي المحدد لسطح المبني العلوي عباره عن ظهر تنين اسطوري، الواجهه قمت بتغطيه البلكونات المعلقه بها بكينانات منحنيه تخفي اجزاء كثيره من الحديد الموجود وتبدو وكأنها ملاء بلا احجار، اختفت الزوايا والخطوط الحاده من المبني وذابت معا، لتبدو كافة الاشياء والاشكال وكأنها تطفو وتحرك بليونته فوق الاسطح، وبالنسبه لاعمال التكسيات كانت

* احد أهم فناني الموزاييك في برشلونه آنذاك تعاون مع جاودي في تنفيذ العديد من افكاره واحلامه المعماريه وتحويلها الي واقع في عده مبان واماكن متعدده (اساميليا وبارك جويل) وقد كان اشهرها علي الاطلاق المقاعد المنفذه في بارك جويل.

تغطيه الجزء العلوي من واجهه المبني ببلاطات خزفيه متنوعه الاشكال والالوان تتغير بانكسار اشعه الشمس فوقها لتأخذ تأثير جلد الزواحف المتلون، اما الاجزاء المصمته فكان الاعتماد علي الاحجار الطبيعيه المصقوله لتعطي احساس موديل الطين، بالنسبه لي كان هذا المنزل وكانه حلم بطبيعته وافكاره المجنونه الغير مترابطه وكذلك السهوله التي مرت بها العمل ومراحل التنفيذ.



(شكل ١٣) مبني كاساباتيللو - الواجهه الاماميه

ثالثا: الطبيعه هي الكتاب السحري للابداع والابتكار

٣- مبني كاساميللا:

في عام ١٩٠٦ تم اسناد عمليه تصميم وانشاء مبني (كاساميللا) في مدينه برشلونه، علس مساحه من الارض تتعدي اكثر من ١٠٠٠ متر مربع، وكان التفكير في هذا المبني تحديا عظيما بالنسبه لجاودي - علي حد قوله - حيث انه علي شكل زوايه تطل علي شارعين بهما الكثير من المبان الاخري متنوعه الاشكال والاحجام! فقرر اعطائه الشكل الخارجي لانحناءات وتعرجات الجبال والكتبان الرمليه، وهكذا كانت الطبيعه هي الملهم الاول لي في تصميم افكار هذا المبني من جدران واسوار حديديه او مفردات تكميليه داخلية . تحدث جاودي قائلا في هذا الشأن: " الطبيعه هي الكتاب السحري الذي يحوي افكارا لانهائيه وليس علينا الا الاستمرار في قراءته ، وقد اعطيت الجدران المحيطه بالمبني مؤثرات لونه متنوعه وغنيه تنتشر عليها افرع الاوراق الجافه السوداء المكونه لاسوار البلكونات في ثراء لوني وتشكيلي ... " " ... هذا ولم يخلو سطح المبني من الايماءات الدينيه التي بدأت احاول اضافتها الي اعماله مؤخرا بدءا من هذا المبني فكانت الابراج العلويه لتعبر عن ملائكه مصطفه لحمايه المبني، وهي الفكره التي لم تنال اعجاب العميل ففقدت رغبتني في استكمال الاشراف علي المبني عام ١٩١١، وقام اخرون بانهاء التفاصيل الاخيريه وكانت اضافته لبعض الابراج العلويه الغريبه - ارضاء للعميل - والتي اثرت علي المضمون الفلسفي الذي كنت ابحت عنه.لم يتفهم الناس بساطه العمل المستلهم من الطبيعه في ذلك الوقت فاطلقوا عليه "لابراديررا" اي: الحجر الكبير، استهزاء ببساطته وطبيعته. ولكنني اردت بهذا العمل - الذي قررت لاحقا ان يصبح اخر اعماله المدنيه - ان يصبح كل شكل فيه له وظيفه نفعيه للمقيمين فيه ، وهذا ما اشتهرت به لاحقا"



(شكل ١٤)

مبنى لابريديرا (كاساميللا) لانتونيو جاودي في برشلونه من عدة زوايا واتجاهات توضح مدي التأثر بالطبيعة في الزوايا المنحنية، والحديد علي سطح المبنى الامامي، وكذلك توضح الاختلاف بين المداخل العلويه التي اقترحها جاودي وما تم تنفيذه واستكماله علي يد اخرين.

رابعاً : الابداع الحقيقي هو الذي ينقل رسائل للناس

٤ - كنيسة العائلة المقدسه (ساجردا دي فاميليا) : في عام ١٩٢٢ كان اسناد عمليه استكمال بناء كنيسة (ساجرادا فاميليا) في قلب برشلونه، وهو عمل قائم تماما علي التبرعات ، لذا كان الانجاز بهبطينا جدا حيث انه ليومنا هذا لم يتم افتتاحه بعد، ولم ير جاودي هذا البنائ قائما قبل موته المفاجئ عا ١٩٤٦ اثر حادث، وقد اعتبر جاودي موقع هذه الكنيسة - آنذاك - موقعا فذا بكل المقاييس، حيث قال : " حين بدأت دراسه موقع الكنيسة للبحث عن مناطق الطبيعه التي ساستلهم منها، فوجدتها تبعد عن البحر بنفس القدر الذي تبعد به عن الجبال والمسافه ذاتها التي تبعد بها عن نهر برشلونه... " " ... هذا وقد ملات الواجهات المختلفه للكنيسه بقصص مسيحيه من الكتاب المقدس وضعتها في جو كتالوني متنوع الزخارف، وقد كانت الطيور علي الاسطح رمزا للارتقاء والعلو فهي تقترب الي اعلي نقطه في عالمنا لتنقل لنا رسائل الاله ".



(شكل ١٥) كنيسة ساغرادا دي فاميليا

الي اليمين نموذج نفذه جاودي (موجود بمتحفه في برشلونه) لاستلهام الشكل الخارجي لبناء الكنيسة والمستوحى من قانون الجاذبيه الطبيعه وتأثيره عل مجموعه من السلاسل اللينه، وكذلك البناء النهائي الذي لا يزال قيد التنفيذ الي يومنا هذا والذي لم يشهده جاودي في حياته .



نتائج الدراسة

مما سبق نجد ان اهم نتائج هذه الدراسة هي امكانيه الوقوف علي اهم دعائم فكر التصميم البيئي تبعاً لفسفه ورؤيه المعماري انطونيو جاودي الواضحه في اعماله:
 اولاً : الجمال هو انعكاس الحقيقه
 ثانياً : اضاء الثراء والبهجه
 ثالثاً: الطبيعه هي الكتاب السحري للابداع والابتكار
 رابعاً : الابداع الحقيقى هو الذي ينقل رسائل للناس
 هذا ويمكن اعتبار تلك الدعائم نقاط انطلاق للتفكير في التصميم البيئي بوجهه نظر معاصره ترتبط بجذور الحضاره والثقافه والبيئه المحيطه

توصيات: Recommendations

ضروره البحث في الثقافه اللاماديه Non material Culture المؤثره و بعمق علي كافه المبدعين، والتي تحدد ماهيه الثقافه الماديه Material Culture الناتجه عنهم (ابداعاتهم Artifacts) حيث كان لفهم طبيعه تكوين الايدولوجيه الخاصه بجاودي وفلسفاته المكتسبه علي مدار حياته اكبر الاثر علي مجموع الصياغات الابداعيه التي انتجها، وكانت خير مثال تفسير معاصر لمفهوم وفلسفه التصميم البيئي من ناحيه والمصمم البيئي ذاته من ناحيه اخري.

مراجع إسترشادية: Guide References

- Bonet i Armengol, Jordi (2001). L'últim Gaudí: el modulad geomètric del Temple de la Sagrada Família (in Catalan). Barcelona: Pòrtic. ISBN 978-84-7306-727-0.
- Castellar-Gassol, Juan (1999). Gaudí, the Life of a Visionary. Translated by Paul Martin. Barcelona: Edicions de 1984
- Martinell, Cèsar (1975). Gaudí: his life, his theories, his work. Translated by Judith Rohrer. Cambridge, Massachusetts: The MIT Press. ISBN 978-0-262-13072-1.
- <https://www.youtube.com/watch?v=1Lt7PF3Z5Og>
- <https://www.youtube.com/watch?v=GaN1WB6exAE>